الفصل الثانى

الحقوق التعليمية للمرأة فى الإسلام

(الإطار النظرى)

obeikandl.com

obeikandl.com

الحقوق التعليمية للمرأة فى الإسلام

(الإطار النظرى)

أولاً: فضل العلم فى القرآن والسنة:

أعطى الإسلام للعلم مكانة لم تكن قد أعطيت له من دين قط، فلم تعرف البشرية دينًا مثل الإسلام، عنى بالعلم، وحث على طلبه، ولقد تكاثرت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فى التحدث عن العلم، وبيان فضله، ومنزلة العلماء عند الله، وعند الناس فى الدنيا والآخرة.(١)

ففى القرآن الكريم ورد ذكر لفظ العلم بمشتقاته فيما يقرب من ثمانمائة وخمسين موضعًا، هذا بخلاف الألفاظ الأخرى التى تعطى المعنى نفسه، كالتدبر، والتفكر، والتعقل، . . وكلها تحث على العلم.(٢)

وفى السنة المطهرة نجد جميع كتب الحديث النبوى المصنفة حسب الموضوعات والأبواب بكل منها كتابًا حافلاً موضوعه «العلم»(٣).

وفى كتاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى(٤)، والذى فهرس أحاديث تسعة كتب هى: كتب الصحاح الستة، ومسند الإمام أحمد، وموطأ الإمام مالك، وسنن الدارمي، نجد أنه قد ورد فى المعجم لفظ العلم بمشتقاته أكثر من ألف مرة، وهذا بخلاف الألفاظ الأخرى التى تعطى نفس معنى العلم ولكنها وضعت فى أماكن أخرى من أجزاء المعجم، هذا بخلاف كتب الحديث الأخرى والتى لم

---

(١) جاسم محمد مهلهل: العلم بين يدى العالم والمتعلم – سلسلة حقائق الإسلام، الرسالة الخامسة، تصدرها وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٩.

(٢) محمد فؤاد عبد الباقى: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطبعة الشعب ١٣٧٨هـ، مادة علم.

(٣) يوسف القرضاوي: الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٤. وقد استشهد الشيخ القرضاوى بالعديد من الكتب مثل كتب الصحاح الستة وموطأ الإمام مالك ومستدرك الحاكم، والترغيب والترهيب للمنذرى، ومجمع الزوائد للهيثمى.

(٤) ونستك وآخرون: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى**، مطبعة بريل – ليدن ١٩٦٢، مادة (علم).

تفهرس فى المعجم، والتى تحوى العديد من الأحاديث التى تتحدث عن العلم.

وعند بداية نزول الوحى كان أول ما نزل من القرآن الكريم يحث على العلم. فعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: « .. حتى جاء الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾(١).

وفى رواية أخرى بزيادة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

وحينما فسر الشيخ محمدعبده هذه الآيات عقب عليها قائلاً: «لا يوجد بيان أبرع، ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله تعالى كتابه وابتدائه الوحى بهذه الآيات الباهرات»(٢).

وبمراجعة كتاب الله تعالى نجد أنه قد تعددت الآيات القرآنية التى تتحدث عن فضل العلم ومنزلة العلماء، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. وفى هذه الآية الكريمة دليل على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته، كما قرن العلماء.، وقال تعالى فى شرف العلم لنبيه ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] فلو كان شىء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه أن يسأله المزيد منه، كما

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى باب حدثنا يحيى بن بكير، أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب الوحي، واللفظ لمسلم، محمد عبد الله دراز، المختار من كنوز السنة النبوية، إدارة إحياء التراث الإسلامى – قطر – ط٤ (د. ت) ص٣٩.

(٢) عبد الحليم محمود: الإسلام والعلم – بحث مقدم للمؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية – ذو الحجة ١٣٨٩ – مارس ١٩٧٠ – ص٥١٨.

أمر أن يستزيده من العلم[1] وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. عقّب ابن عيينة على ذلك بقوله: ولم يزل - ﷺ - في زيادة من العلم حتى توفاه الله تعالى ولهذا جاء في الحديث «إن الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي ﷺ»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] يبين الله تعالى فضل العلم في أنه الطريق لمعرفة الله تعالى وخشيته، فبمقدار تعمق الإنسان في الجانب العلمي تكون خشيته لله تعالى، إذ أنه يرى من نواميس الكون، ومن الإتقان في الصنع ما يجعله ساجداً لمبدعه سبحانه وتعالى[3]. وخشية الله تعالى - التي هي ثمرة العلم - أساس من أهم أسس إسلام الوجه لله، ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام، فهو ضرورة وليس ترفًا، بل هو من أهم أسس الإسلام نفسه[4]. وقد عقّب ابن القيم على هذه الآية بقوله: «هذا حصر لخشيته تعالى في أولي العلم»[5].

ثم يبين الله تعالى فضل العلم عن طريق الأمثلة القرآنية، ففي خلق آدم عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٤].

فبالعلم أصبح آدم أسمى مكانة من الملائكة، حيث علم ما لم يكن للملائكة علم به، حينئذ أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم، فكان السياق يوحي بسمو

---

(١) تفسير القرطبي - مرجع سابق، ص١٢٨٣.

(٢) تفسير ابن كثير: مرجع سابق، ٣/١٦٧.

(٣) محمد عبد الرحمن مرحبا: الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ص٥٠.

(٤) عبد الحليم محمود: الإسلام والعلم، مرجع سابق، ص٥٢٤.

(٥) محمد بن سعيد بن رسلان: فضل العلم وآداب طلبته وطرق تحصيله وجمعه، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.

مكانة العلم سمواً يصل إلى درجة سجود الملائكة له فحينما أراد الله تعالى إظهار تفضيل آدم وتمييزه فضّله الله تعالى على ملائكته بالعلم(١).

وتعددت الأمثلة القرآنية الأخرى التى تبين مكانة العلم فى الإسلام من خلال القصة، نذكر منها على سبيل المثال قصة سليمان عليه السلام حينما طلب ممن حوله أن يأتيه أحدهم بعرش ملكة سبأ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل:٣٨-٤٠].

وهذه القصة تبرز فى جوهرها أهمية العلم، وأنه بالعلم يتحقق ما لم تستطع الجن - وهى القوة الخارقة - أن تحققه، ومقدرة العالم تصل إلى ما لم تصل إليه مقدرة عفريت من الجن، وبالعلم تطوى الأرض وتزول المسافات وتتحقق المعجزات(٢).

وفى قوله تعالى فى مجمل الحديث عن قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. فعندما أراد الله تعالى إظهار فضل يوسف وشرفه على أهل زمانه كلهم اتخذ للملك وأهل مصر من علمه بتأويل رؤياه ما عجز عنه علماء التعبير، فحينئذ قدم وسلم إليه خزائن الأرض(٣).

وبلغ فضل العلم فى القرآن الكريم إلى تفضيل الحيوان المعلّم عن غيره. فيقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤]. فالله تعالى جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها، وأباح صيد الكلب المعلّم، وهذا من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد

---

(١) المرجع السابق، ص٣١.

(٢) حامد عبده الهوال: **التعليم والتعلم**، مكتبة الفلاح، الكويت ط١، ١٩٨١، ص٣٢، ٣٣.

(٣) محمد بن سعيد بن رسلان: **فضل العلم وآداب طلبته**، مرجع سابق ص٣٢، عن ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/٥.

الكلب المعلّم، وأما الكلب غير المعلّم فلا يحل أكل صيده، فدل ذلك على شرف العلم وفضله، ولولا مزيّة العلم والتعليم وشرفه، لكان صيد الكلب المعلّم وغير المعلّم سواء(١).

وتعددت أحاديث الرسول - ﷺ - الدالة على فضل العلم ومكانة العلماء، فيقول ﷺ في حديثه الجامع: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سهل الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر**»(٢).

ولا يتسع المجال هنا للتحدث عن العلم ومكانته، كما جاء في السنة النبوية المطهرة، فلقد تحدث الكثيرون عن ذلك(٣)، وبينوا مقدار اهتمام الرسول - ﷺ - وحثه على طلب العلم - حتى أنه ﷺ - فرض على الجيران الذين رزقوا حظًا من العلم ألا يدعوا جيرانهم الذين لم يتح لهم أن يستنيروا بنور العلم دون أن يفقهوهم، ويؤدوا إليهم زكاة علمهم، كما يؤدون إليهم زكاة أموالهم(٤)، فلقد خطب الرسول - ﷺ - ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرًا ثم قال: «**ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم، ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم، ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم، ولا يتفقهون، ولا يتعظون؟**»(٥). فالرسول ﷺ لم يقر قومًا على الجهالة بجانب قوم متعلمين.

---

(١) المرجع السابق ص٢٧، عن ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ٥٥.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه الأربعة (أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة) ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء والبيهقي في شعب الإيمان، وقال الترمذي: ليس هو عندي بمتصل هكذا - الفتح الرباني ١/ ١٥٠، ونقل صاحب الفتح الرباني عن صاحب (التنقيح) أن رجال أحمد رجال الحسن، كما حسن إسناد الحاكم، وقال: وصحح البخاري بعض طرقه.

(٣) ومنهم الدكتور/ يوسف القرضاوي، الذي أفرد كتابًا كاملاً أسماه «الرسول والعلم».

(٤) يوسف القرضاوي: مبادئ وقيم للتعليم في ضوء السنة المطهرة، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، ١٩٨٠ ص١٨.

(٥) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن - فيض القدير ٥/ ٤٠٧.

حث الإسلام على تعلم كافة فروع العلم النافع:

والعلم فى الإسلام علم نافع – فيقول الرسول ﷺ : **«إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزنا»**(١).

وفى رواية أخرى: **«إن بين يدى الساعة أيامًا، يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرْج، والهرج: القتل»**(٢). فلو لم يكن العلم نافعًا ما قامت الحياة على وجوده، وما انقضت لرفعه، وكان الرسول ﷺ، يدعو الله تعالى قائلاً: **«اللهم انفعنى بما علمتنى، وعلمنى ما ينفعنى، وزدنى علمًا، والحمد لله على كل حال»**(٣). وفى رواية أخرى أنه ﷺ كان يقول: **«اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»**(٤).

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إنى لأرى الرِّى يخرج فى أظفارى، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب»** قالوا: فما أوْلته يارسول الله؟ قال: **«العلم»**(٥). وفى الحديث ذكر الحافظ ابن حجر أن الرسول – ﷺ – فسر اللبن بالعلم وذلك لاشتراكهما فى كثرة النفع بهما»(٦) وعلى الجانب الآخر حذر الإسلام من تعلم ما لا ينفع فيقول الله تعالى: **﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** [البقرة: ١٠٢]. وتضمنت الآية بعض النماذج للتعليم الضار منها: (٧).

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم والإمام أحمد والنسائى والفتح الربانى ص١/ ١٨١.

(٢) أخرجه البخارى كتاب الفتن باب ظهور الفتن، ومسلم كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان – اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٧١٠.

(٣) أخرجه ابن ماجة والترمذى والبزار عن أبى هريرة، وزاد البزار فى آخره وأعوذ بالله من حال أهل النار – تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٥.

(٤) رواه مسلم والترمذى والنسائى: وهو قطعة من حديث – الترغيب والترهيب ١/ ١٢٤.

(٥) أخرجه البخارى كتاب العلم باب فضل العلم، وأخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر – اللؤلؤ والمرجان حديث رقم ١٥٤٧.

(٦) فتح البارى ١/ ٢١٦.

(٧) حامد عبده الهوال: **التعليم والتعلم** – مرجع سابق – ص٥٨ – ٦٠.

* تعليم السحر وهو رمز للخداع والضلال واللعب بأفكار الناس وقلب الحقائق.

* التعليم الذى يفرق بين الناس، ويدخل تحته كل ألوان التفريق بين الناس أفراداً أو جماعات بالدسيسة والنميمة، أو بإتقان فنون الإشاعة، أو باستخدام الإذاعات السرية للقضاء على وحدة الشعوب.

* التعليم الخطر على الإنسانية كفنون التدمير التى تقضى على البشرية وحضارتها.

وفى قوله تعالى: ﴿وقل رب زدنى علماً﴾ يرى بعض المفسرين(١) عند تفسير الآية، أن المقصود بالعلم هو العلم الدينى، ولا ريب أن أولى العلوم التى يحث عليها الإسلام هى العلوم الدينية فيقول الرسول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين»(٢). والفقه فى الأصل الفهم - أى المقصود فهم عوم الدين»(٣). ولكن العلم الذى يدعو إليه الإسلام ويحث عليه القرآن والسنة لا يشمل العلو م الدينية فحسب، إنما هو كل معرفة مستندة إلى استدلال، حتى أن علماء المسلمين لا يعتبرون التقليد علماً لأنه اتباع لقول الغير بلا حجة(٤). وإذا نظرنا إلى علم الرسول ﷺ الذى أمر بطلب الزيادة منه وجدنا إلى جانب العبادات، نجد المعاملات، والسياسة الشرعية، والطب، والفرائض، وغيرها من جوانب العلم الذى يحتاجه المسلم فى الدنيا قبل الآخرة، كما أن الإسلام فضل العلم على العبادة مع أن القرآن يعلن فى صراحة أن الله تعالى لم يخلق الجن والإنس إلا للعبادة وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالعبادة إذا أديت على غير علم، فهى كبنيان على غير أساس(٥). فيقول الرسول ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة»(٦).

---

(١) مثال ذلك: المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ص٤٦٨، فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ١٦/١٠١، تفسير ابن كثير ٣/١٦٧.

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجة عن معاوية، ورواه الإمام أحمد والترمذى وقال الترمذى: حسن صحيح، وفى رواية مسلم «من يرد الله به خيراً يفقهه» - الفتح الربانى ١/١٤٧.

(٣) المرجع السابق - الصفحة نفسها.

(٤) يوسف القرضاوى: الرسول والعلم، مرجع سابق، ص٣٧.

(٥) على السالوس وآخرون: دراسات فى الثقافة الإسلامية - مرجع سابق ص ٣٨.

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بإسناد حسن - الترغيب والترهيب كتاب العلم.

كـذلك نجـد أن لفـظ العلم قـد ورد فـى القرآن الكريم فـى معظم المواضع كلفظ مطلق كقوله تعالي: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]. ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [النساء ١٦٢]. و﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الحج: ٥٤]. كما أن القرآن الكريم وقد حوى تقريبًا ٦٢٣٦ آية منها حوالى ٧٥٠ آية كونية وعلمية والباقى آيات للتشريع والمعاملات والعبادات والعقائد والتكاليف والتوحيد والتأمل وقصص الأنبياء السابقين(١). فالعلم فى الإسلام لا ينحصر فى جانب واحد كعلم العقيدة والشريعة، بل هو علم أعم من العلم الذى يراد لأداء الفرائض والشعائر، فيشمل كل ما يفيد الإنسان، ويساعد على القيام بأعباء الأمانة التى تحملها الإنسان منذ أن استخلفه الله فى الأرض من عمارتها، واستخراج كنوزها، وإظهار أسرار الله فيها قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]. لذا نجد كلمة العلم فى القاموس الإسلامى أطلقت، ولم تقيد بمادة معينة من مواد العلم(٢).

ويحتوى القرآن الكريم على الكثير من المعطيات العلمية التى تحث المؤمنين على التفكر والتعقل والتدبر، فتشتعل جذوة العلم فى قلوبهم وتوقظ الفكر فى عقولهم، وتحرك النزعة العلمية والتأمل فى نفوسهم (٣) فالعلم طريق إلى معرفة الله، فيروى الإمام أحمد بن حنبل عن معمر أنه قال: «إن الرجل ليتعلم العلم لغير الله فيأبى العلم عليه حتىٰ يكون لله»(٤)، قال الحسن بن زياد العتلى: «كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة»(٥).

فالعلم فى الإسلام وسيلة لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى وخشيته. وفى القرآن الكريم العديد من الآيات التى تبحث فى مختلف مجالات العلم، ومثال ذلك

---

(١) عبد الرزاق نوفل: **القرآن والعلم الحديث**، دار الشعب ١٩٨٢م، ص ٥.

(٢) يوسف السويدى: **الإسلام والعلم التجريبى**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٩٨٠م، ص: ١٧، ١٨.

(٣) أمينة أحمد حسن – **نظرية التربية فى القرآن وتطبيقاتها فى عهد الرسول** – دار المعارف بمصر – ط ١، ١٩٨٥م، ص: ٢٧٤.

(٤) ابن عبد البر القرطبى: **جامع بيان العلم وفضله**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢/ ٢٢.

(٥) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

مجال علم الفلك حيث احتوى القرآن الكريم على كثير من التأملات فى السماوات والأرض وما بينهما، بالإضافة إلى الآيات التى تصف الخلق والكون، وهى تهدف إلى جذب الانتباه لقدرة الخالق سبحانه وتعالى دون أن تحتوى على النظريات والقوانين الدقيقة، فهو متروك للعقل الإنسانى[١]. وبخلاف علم الفلك هناك العديد من المجالات العلمية التى أشار إليها القرآن الكريم حتى أن أحد الباحثين[٢] حاول حصر هذه المجالات فذكر أن القرآن الكريم قد أشار إلى مجال الفلك فى العديد من السور والآيات[٣]، وكذلك إلى مجال الكواكب[٤]، وإلى التقويم، حيث أشار القرآن الكريم إلى عدد الشهور[٥] والأشهر الحرم[٦]، والأشهر المعلومات[٧]، والشهر الحرام[٨]، وشهر رمضان[٩]، واليوم عند الله[١٠].

وجاءت إشارات فى القرآن الكريم إلى الملاحة[١١]، والفنون[١٢]، والبلاغة[١٣] والصحة[١٤]. والإشارة إلى الشعر والشعراء[١٥]. هذا بخلاف الحقائق العلمية

---

(١) أمينة أحمد حسن، المرجع السابق ص ٢٧٥.

(٢) محمد حسن الحمصى، تفسير وبيان القرآن الكريم مع أسباب النزول للسيوطى مع فهارس كاملة للمواضيع والالفاظ، دار الرشيد - دمشق ومن المعروف أن «جون لابوم» قد سبقه فى هذا الحصر.

(٣) البقرة الآية ٢٩، ١٨٩، يونس الآية ٥، الحجر الآية ١٦، ١٧، الإسراء الآية ١٢، الأنبياء الآية ٣٣، المؤمنون الآية ١٧، يس الآية (٣٧ - ٤٠)، الصافات الآية (٦ - ٨)، الملك الآية ١٥، النازعات الآية ٢٧، ٢٨، الطارق الآية (١ - ٣)، ١١.

(٤) الحجر (١٦ - ١٨)، الشعراء (٢١٠ - ٢١٢)، الصافات (٦ - ١٠) الملك (٥)، الجن (٨، ٩).

(٥) التوبة (٣٦).

(٦) البقرة (١٩٤، ٢١٧) المائدة (٢، ٩٧)، التوبة (٣٦، ٣٨).

(٧) البقرة (١٩٧).

(٨) البقرة (١٩٤، ٢١٧)، المائدة (٢، ٩٧).

(٩) البقرة (١٨٥).

(١٠) الحج (٤٧)، السجدة (٥)، المعارج (٤).

(١١) يونس (٢٢) - الإسراء (٦٦) - لقمان (١٣١) - الزخرف (١٢، ١٣).

(١٢) سبأ (١٠ - ١٣) - المائدة (٩٠).

(١٣) الأنعام (١١٢) - الرحمن (١ - ٤).

(١٤) الأعراف (٣١).

(١٥) الأنبياء (٥) - الشعراء (٢٢١ - ٢٢٧) - يس (٦٩) - الصافات (٣٥، ٣٦) - الطور (٣٠) - الحاقة (٤١).

التى جاءت فى القرآن الكريم. مع الإشارة إلى وقائع أشارت إليها الاكتشافات العلمية. وفى هذا جاءت العديد من الأبحاث[١] التى أكدت على أن الدين والعلم يسيران جنبًا إلى جنب، حيث يشير الدين بالأدلة إلى مواطن الهداية لمعرفة الله تعالى، والعلم يصل بالبحث إلى حقائق علمية ويكشف ما فى الكون من جمال الصنع وأسرار الإبداع مما يؤدى فى النهاية إلى الدلالة على خالق الكون سبحانه وتعالى[٢].

وبعد.. فهذا قليل من كثير، يمكن أن يكتب فى هذه الجزئية ولكن مجال البحث لا يتسع لتفصيل أكثر من هذا.

ثانيًا: الحقوق التعليمية للمرأة من واقع القرآن والسنة

١ - حق المرأة المسلمة فى التعليم شأنها شأن الرجل، ودليل ذلك من القرآن والسنة:

جاءت الغالبية العظمى من التكاليف والتوجيهات فى القرآن الكريم والحديث الشريف بصيغة الخطاب للمذكر من المؤمنين والمسلمين، واختلفت الآراء فيما إذا كان الحكم فيها يكون للذكر فقط، أم للذكر والأنثى على حد سواء. وفى هذا يقول الإمام ابن حزم: «اختلف الناس: فقالت طائفة إذا ما ورد الأمر بصورة خطاب الذكور، فهو على الذكور دون الإناث وإلا أن يقوم دليل على دخول الإناث فيه. واحتجوا بأن قالوا: أن لكل معنى لفظًا يعبر عنه، فخطاب النساء **افعلن** وخطاب الرجال **افعلوا**. فلا سبيل إلى **إيقاع** لفظ على غير ما علق عليه إلا بدليل. قال على[٣]: وبهذا نأخذ، وهو الذى لا يجوز غيره، والدليل الذى استدلت به الطائفة الأولى هو أعظم الحجة عليهم، وهو دليلنا على إبطال قولهم. لأن لكل معنى لفظًا يعبر به كما قالوا ولابد. ولا خلاف بين أحد من العرب، ولا من حاملي لغتهم أولهم عن آخرهم فى أن الرجال والنساء، وأن الذكور والإناث إذا اجتمعوا وخوطبوا

---

(١) مثل سليمان عمر قوش - الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها فى القرآن الكريم. يوسف السويد - **الإسلام والعلم التجريبى**. عبد الرازق نوفل - القرآن والعلم الحديث وغيرها.... وهنا نشير إلى أنه ليس بالضرورة أن تؤيد الاكتشافات العلمية القرآن لأن القرآن الكريم لا يحتاج إلى دليل.

(٢) يوسف السويدي: **الإسلام والعلم التجريبى**، مرجع سابق، ص٣٥.

(٣) أى الإمام ابن حزم.

أو أخبر عنهم، أن الخطاب والخبر يردان بلفظ الخطاب والخبر عن الذكور إذا انفردوا ولا فرق. وأن هذا أمر مطرد أبداً على حالة واحدة فصح بذلك أنه ليس الخطاب للذكور – خاصة – لفظ مجرد فى اللغة العربية غير اللفظ الجامع لهم وللإناث إلا أن يأتى ببيان زائد بأن المراد الذكور دون الإناث. فلما صح لم يجز حمل الخطاب على بعض ما يقتضيه دون بعض إلا بنص أو إجماع. فلما كان لفظة «افعلوا» والجمع بالواو والنون وجمع التكسير يقع على الذكور والإناث معًا، وكان رسول الله – ﷺ – مبعوثًا إلى الرجال والنساء بعثًا مستويًا، وكان خطاب الله تعالى وخطاب نبيه – ﷺ – للرجال والنساء خطابًا واحدًا لم يجز أن يخص بشىء من ذلك الرجال دون النساء. إلا بنص جلى أو إجماع لأن ذلك تخصيص الظاهر، وهذا غير جائز، وكل ما لزم القائلين بالخصوص فهو لازم لهؤلاء»(١).

فيبين الإمام ابن حزم أن الآراء قد اختلفت فى ذلك، فهناك من يرى أن الأمر إذا ما جاء بصيغة خطاب الذكور فهو أمر لهم دون النساء. فيبين الإمام عدم جواز الأخذ بهذا الرأى، وأوضح بالدليل خطأه، فالقرآن الكريم حينما يورد أمراً بالصلاة، أو الزكاة، أو الصيام، أو الاعتصام بحبل الله، أو الوصية بالوالدين.. وغير ذلك، فالخطاب يكون بضمير المذكر، ولكن الأمر يوجه للذكور والإناث معًا، إلا إذا كانت تدل قرينة على تخصيصه لأحدهما دون الآخر. وفى حديث أم سلمة أم المؤمنين خير تطبيق على ذلك، فحدثت رضى الله عنها أنها سمعت النبى ﷺ يقول على المنبر وهى تمتشط: أيها الناس، فقالت لماشطتها: لفى رأسى، قالت: فقالت: فديتك، إنما يقول أيها الناس، قلت: ويحك أولسنا من الناس؟، فلفت رأسها، وقامت فى حجرتها، فسمعته يقول...(٢).

وعندما حث الإسلام على طلب العلم وجعله فريضة على المسلمين فقال الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٣). فالخطاب هنا موجه للذكور

---

(١) ابن حزم (على بن حزم الأندلسى): الإحكام فى أصول الأحكام. تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الفكر العربى، ط١، ١٩٧٨ القاهرة، المجلد الأول ٣/٤١٣.

(٢) ويح: لمن ينكر عليه فعله مع ترفق وترحم. نقلاً عن ابن الأثير فى جامع الأصول، والحديث رواه الإمام أحمد، وقال صاحب الفتح الربانى: إسناده حسن. الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد ١/١٩٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة فى المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم والحديث ضعفه الكثيرون من حيث السند وإن كان صحيحاً من حيث المعنى، وحسنه المزى وأيده السيوطى. انظر تعليق محمد فؤاد عبد الباقى على الحديث فى سنن ابن ماجة، والحديث صححه الألبانى. صحيح الجامع الصغير حديث ٣٨٠٨.

والإناث، كما أن تنكير كلمة مسلم هنا يفهم منها الاستغراق، كما يقول علماء البلاغة، بمعنى أن يستغرق كل المسلمين والمسلمات[١]، وقد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث كلمة (ومسلمة) وفى هذا يقول الحافظ السخاوى: «ليس لها ذكر فى شيء من طرقه، وإن كان معناها صحيحًا»[٢].

وهناك نصوص تفردت بها النساء فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]..

فالآية الكريمة تأمر نساء النبى ﷺ أن يحفظن ولا يغفلن ما يسمعن من الرسول ﷺ من آيات الله تعالى والحكمة ولا شك أن ذلك يجر إلى العمل به.[٣]. وقد بيّن الإمام الشافعى أن المراد بالحكمة هنا هو السنة المطهرة.[٤].

فكانت أمهات المؤمنين التسع اللائى توفى عنهن الرسول ﷺ - كن كلهن معلمات، ومفتيات لنساء أمته، ما لم يعلمه عنه غيرهن من أحكام شرعية وآداب زوجية وحكم نبوية، وكان الرجال يرجعون أيضًا لأمهات المؤمنين فى كثير من أحكام الدين ولاسيما الزوجية، فمن كان له قرابة منهن كان يسألها دون غيرها، فكان أكثر الرواة عن عائشة: أختها أم كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث، وابنا أخيها القاسم وعبد الله ابنا محمد ابنا أبى بكر، وحفصة وأسماء بنتا أخيها عبد الرحمن، وعبد الله وعروة ابنا عبد الله بن الزبير من أختها أسماء، وروى عنها غيرهم من أقاربها ومن الصحابة والتابعين وهم كثيرون جدا ذكر منهم الحافظ الذهبى نحو المائة[٥].

---

(١) محمد منير مرسى: **تاريخ التربية فى الشرق والغرب**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٦. ص٢٣٦.

(٢) السخاوى (محمد بن عبد الرحمن): **المقاصد الحسنة**، مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد ١٩٥٦، ص٢٧٧.

(٣) القاسمى (محمد جمال الدين): تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل، تعليق محمد فؤاد عبدالباقى - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٩٥٧، ص٤٨٥٩.

(٤) الشافعى (محمد بن إدريس): **الأم**، كتاب الشعب، القاهرة، (د. ت). كتاب جماع العلم ٧/ ٢٥٠.

(٥) الذهبى (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٥.

وكان من أكثر الرواة عن حفصة أم المؤمنين: عبد الله بن عمر، وابنه حمزة، وزوجه صفية بنت عبيد، وأم بشر الأنصارية، . . أما أكثر الرواة عن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث فكان أبناء أخواتها ولاسيما أشهرهم عبد الله بن عباس. وهكذا نرى كل واحدة من أمهات المؤمنين قد روى عنها من علوم الدين الكثير من أولي قرباها من النساء والرجال(١).

وفى السنة المطهرة نجد العديد من الأحاديث التى تفتح أمام المرأة باب العلم. فيقول الرسول ﷺ فى حثه الآباء على تعليم بناتهم «**من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة**»(٢). وعن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: «**من كانت له بنت فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، وأسبغ عليها من نعمة الله عز وجل التى أسبغ عليه كانت له ستراً وحجاباً من النار**»(٣).

ولم يفرق الإسلام فى حق التعليم والثقافة بين الحرة والأمة، بل إن الرسول – ﷺ – لم يحث على تعليم الحرة ولم يرغب فى تثقيفها بمقدار ما حث على تعليم الأمة، ورغب فى تثقيفها وتأديبها، حيث إن الحرة لها من الحقوق ما ليس للأمة، فالأمة قد لا يلتفت إلى الاهتمام بها وتعليمها، فكان هذا التوجيه النبوى الكريم «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين... ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**»(٤). فكان الأجر الأول لصاحب الأمة على حسن تأديبها وتعليمها، والأجر الثانى على إعتاقها وتزوجها.

وفى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦]. . فهو أمر من الله تعالى لكل مسلم بأن يبدأ بتعليم أهل بيته حيث ذكر ابن الجوزى عن على بن أبى طالب فى تفسير «**قوا أنفسكم**

---

(١) محمد رشيد رضا: **حقوق النساء فى الإسلام** (نداء للجنس اللطيف) تعليق محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى، بيروت، ص٨٨.

(٢) رواه أبوداود عن أبى سعيد وإسناده حسن، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، ٢/٤٢٩.

(٣) رواه الطبرانى والخرائطى فى مكارم الأخلاق، **كنز العمال**، ١٦/٤٥٢، حديث ٤٥٣٩١.

(٤) رواه الإمام أحمد، والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أبى موسى الأشعرى، التيسير شرح الجامع الصغير، ١/٤٨١.

وأهليكم» أنها بمعنى علموهم وأدبوهم(١).

واهتمامًا بتعليم النساء كان الرسول ﷺ يزوج المرأة على تعليمها شيئًا من القرآن. فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ليزوجه إحدى النساء فسأله عما عنده، فلم يجد عنده سوى إزاره الذى يلبسه، فسأله الرسول ﷺ: **«ما تحفظ من القرآن»** قال: سورة البقرة أو التى تليها، فقال ﷺ: **«قم فعلمها عشرين آية وهى امرأتك»**(٢). وفى رواية أخرى **«اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»**(٣). وقال صاحب عون المعبود: **«وفيه دليل على جواز تعليم القرآن صداقًا»**(٤).

وأباح الإسلام للمرأة أن تخرج للسؤال عن دينها، وأمر زوجها ألا يمنعها إذا أرادت الخروج إلى المسجد فلا يحق لزوجها منعها من ذلك لقول الرسول ﷺ: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**(٥). وروى أن الزبير تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت تخرج إلى المساجد فيقول لها: «لو صليت فى بيتك» فتقول لا أزال أخرج أو تمنعنى، فكره منعها لهذا الخبر(٦).

وخروج المرأة إلى المسجد هنا ليس إلى الصلاة فحسب، لأن صلاة المرأة فى المسجد ليست واجبة، ولذلك كان يمكن للزوج أن يمنعها فى هذه الحالة من الخروج إلى المسجد، ولكن المسجد كان للصلاة والعلم(٧). وعندما فسر الشيخ المليبارى النشوز استثنى منه عصيان المرأة زوجها فى تعلم أمور دينها وسائر فروع العلوم العينية التى تكلف بها كل مسلمة وقال: «يحرم عليه منعها عنه إن لم يكن

---

(١) ابن الجوزى (الإمام أبى الفرج عبد الرحمن): **زاد المسير فى علم التفسير**، المكتب الإسلامى للطباعة والنشر – دمشق، ط١ ١٩٦٥ – ٨/٣١٢.

(٢) رواه أبو داود، كتاب النكاح باب فى التزويج على العمل يعمل. كنز العمال ١٦/ ٣٢٠.

(٣) رواه البخارى ومسلم: **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**، ص٣٣٠.

(٤) عبد الرحمن محمد عثمان: **عون المعبود شرح سنن أبى داود**، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٩٦٩، ٦/١٤٥. (وسيشار إليه بعون المعبود بشرح سنن أبى داود).

(٥) رواه البخارى كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة.

(٦) ابن قدامة (الإمام موفق الدين: المغنى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٧٢، باب للزوج منعها من الخروج من منزله إلى ما لها منه بد، جـ٨، ص(١٢٨ – ١٣٠).

(٧) صالح عبد العزيز: **تطور النظرية التربوية**، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٧، ص١٦٨.

عالمًا، وإلا علمها وجوبًا»[1]. ووافقه فى ذلك الإمام الغزالى بقوله: «فإن لم يكن ذلك - أى إذا لم يستطع زوجها تعليمها أمور دينها أو الاستفتاء لها - فلها الخروج للسؤال، بل عليها ذلك ويعصى الرجل إن منعها»[2].

وعن خروج المرأة للتفقه فى الدين يقول الإمام ابن حزم «نعم، هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال، وفرض على كل امرأة التفقه فى كل ما يخصها كما فرض ذلك على الرجال، ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم، وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك كالرجال ولا فرق. ولو تفقهت امرأة فى علوم الديانة للزمنا قبول نذارتها، وقد كان ذلك، فهؤلاء أزواج النبى ﷺ وصواحبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا فى ذلك فمنهن سوى أزواجه ﷺ: أم سليم، وأم حرام، وأم عطية، وأم كرز، وأم شريك، وأم الدرداء....»[3]. ثم جعل ابن حزم الحاكم فى الدولة الإسلامية ملزمًا بتوفير الحد الأدنى من التعليم للعامة: «ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهن ما ذكرنه، إما بأنفسهم وإما بالإباحة، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك، وأن يرتب أقوامًا لتعليم الجهال»[4]. هذا وفى كتب الأحكام تحدث الكثير من الفقهاء عن ذلك[5].

وكان للرسول - ﷺ - القدوة الحسنة فى فتحه بيته ومسجده لتعليم النساء العلم النافع، فعن أبى سعيد الخدرى: قالت النساء للنبى ﷺ: «غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهن يومًا لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان فيما قال لهن: **ما منكم امرأة تقدم ثلاثًا من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار..**»[6]. وفى رواية أخرى بنحو هذه القصة فقال: «**موعدكن بيت فلانة فأتاهن**

---

(١) محمد جميل بيهم: **المرأة فى الإسلام وفى الحضارة الغربية**، دار الطليعة بيروت (د. ت)، ص٧٦.

(٢) الغزالى (أبوحامد محمد): **إحياء علوم الدين**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د. ت) ٢/ ٣١.

(٣) ابن حزم: **الإحكام فى أصول الأحكام**، مرجع سابق، المجلد الأول، ٣/ ٤١٣.

(٤) المرجع السابق، المجلد الثانى، ٥/ ٨٩٩.

(٥) ذكر محمد جميل بيهم عددًا من هذه الكتب مثل: الدر المختار ورد المختار ص٣٩٠، ٧٢٠ - الدر المنتقى بشرح الملتقى ١/ ٣٧٤ - فتح القدير ٢/ ٥٢٠ - القسطلانى فى شرح البخارى - ٨/ ١١٩ وغيرها.

(٦) رواه البخارى، كتاب العلم باب هل يجعل للنساء يومًا على حدة فى العلم.

فحدثهن»[1]. وعلق الحافظ ابن حجر على الحديث بقوله: «وفى الحديث دلالة على ما كان عليه نساء الصحابة من حرص على تعلم أمور الدين»[2]. فقد كان النساء يذهبن إلى المسجد للصلاة وللتلقي من علم الرسول ﷺ ولكنهن عندما لم يتمكن من مزاحمة الرجال إذكن يجلسن فى آخر صفوف المجلس، طلبن من الرسول ﷺ ما ذكر فى أول الحديث الشريف»[3]. وقد كثرت الدلائل على حرص نساء الصحابة على التعلم فعن أنس قال: «دخلت على رسول الله ﷺ أم سليم وعنده أم سلمة فقالت: المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل؟ فقالت أم سلمة: تربت يداك يا أم سليم فضحت النساء، فقال النبى ﷺ منتصراً لأم سليم: بل أنت تربت يداك، إن خيركن التى تسأل عما يعنيها، إذا رأت الماء فلتغتسل «قالت أم سلمة: وللنساء ماء يارسول الله؟ قال: نعم، فأين يشبههن الولد؟ إنما هن شقائق الرجال»[4]. فلم تستح أم سليم أن تسأل عن أمور دينها وشجعها على ذلك تأييد الرسول ﷺ لها، وفى ذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»[5]. وضربت السيدة عائشة خير الأمثلة لطالبة العلم التى تناقش وتستفسر لتتعلم فعنها رضى الله عنها قالت: «جاء عمى من الرضاعة فاستأذن علي، فأبيت أن آذن له حتى أسأل الرسول ﷺ، فجاء الرسول ﷺ، فسألته عن ذلك، فقال: إنه عمك فأذنى له. فقلت: يارسول الله – ﷺ – إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل قالت: فقال الرسول ﷺ: إنه عمك فليلج عليك، قالت عائشة: وذلك بعد أن ضرب علينا الحجاب، قالت عائشة: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة.[6].

---

(١) فتح البارى لشرح صحيح البخارى، ١ / ٢٣٦.

(٢) ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على): فتح البارى لشرح صحيح البخارى، ١ / ٢٣٦.

(٣) سعيد إسماعيل على: **أصول التربية الإسلامية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص٨٩.

(٤) رواه البخارى كتاب العلم باب الحياء فى العلم، ورواه الدارمى كتاب الصلاة والطهارة باب فى المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل وذكر محقق أحاديث الدارمى (عبده هاشم يمانى) أن الحديث رواه أيضًا مسلم والنسائى والحديث رواه الإمام أحمد فى مسنده بلفظ آخر ٦ / ٢٥٦.

(٥) رواه البخارى كتاب العلم باب الحياء فى العلم.

(٦) رواه البخارى كتاب التفسير، سورة الأحزاب، باب قوله: «إن تبدوا شيئًا أو تخفوه»، ورواه مسلم، كتاب الرضاع باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل، واللفظ للبخارى.

فأم المؤمنين عائشة تعلم قبل أن تناقش أن الرسول ﷺ معصوم من الخطأ، وما ينطق عن الهوى، ولكنها رضى الله عنها كانت تريد أن تعلم ولم يكن الرسول ﷺ يتضجر من ذلك، بل كان يتناقش معها رضى الله عنها ويناظرها، فعنه ﷺ قال: «**من حوسب عُذب**» قالت عائشة: قلت: يقول الله تعالى: «**فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا**» قالت: فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**»(١). وعلق الحافظ ابن حجر على الحديث بقوله: «وفى الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معانى الحديث، وأن النبى ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة فى العلم، وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب»(٢).

٢ - حق المرأة المسلمة فى تعلم القراءة والكتابة والرد على منكرى ذلك:

كان للمرأة العربية فى الجاهلية بعض الفرص فى التعلم حيث كان بين النساء كاتبات وشاعرات، وحينما ظهر الإسلام بدأت الحياة العقلية تنشط وتحيا لدى العرب، وكسبت المرأة حقوقًا اجتماعية لم تكن لها قبل الإسلام، فنهض التعليم بين النساء(٣).. وقد قارب النساء اللواتى كن يقرأن أو يكتبن فى صدر الإسلام من نصف عدد الذين كانوا يكتبون من الرجال عند ظهور الإسلام(٤).

فيذكر البلاذرى عن الواقدى أنه قال: «عند دخول الإسلام كانَ فى قريش من المسلمين سبعة عشر رجلاً كلهم يكتبون، ومن النساء: الشفاء العدوية، وحفصة أم المؤمنين، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد، أما أمهات المؤمنين عائشة وأم سلمة، كانتا تقرآن ولا تكتبان(٥). وروى البعض أن أم المؤمنين عائشة كانت تكتب فقد روى أبو جعفر النحاس بسنده إلى الحسن أن عائشة كانت تكتب فى مكاتيبها بعد البسملة: «من المرأة عائشة بنت أبى بكر حبيبة حبيب الله»(٦).

---

(١) رواه البخارى كتاب العلم باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه.

(٢) فتح البارى لشرح صحيح البخارى ١ / ٢٣٧.

(٣) محمد عطية الأبراشى: **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، دار الفكر العربى، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦، ص١٢٣.

(٤) صالح عبد العزيز: **تطور النظرية التربوية**، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٥) أبى الحسن البلاذرى: **فتوح البلدان**، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ص: ٤٥٦ - ٦٤٠.

(٦) عمر رضا كحالة: **المرأة فى عالمى العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ١ / ٣٢، نقلاً عن عبد الحى الكتانى، التراتيب الإدارية.

وتعتقد الباحثة أن هذا لا يعتبر دليلاً، فربما كان هناك من يكتب عن أم المؤمنين باسمها، إلا أن ذلك لا يقلل من علمها الغزير رضى الله عنها والذى سيأتى الحديث عنه فى جزء لا حق من الدراسة إن شاء الله.

ونجد أن هؤلاء اللواتى تعلمن القراءة والكتابة قد تعلمن بمنازلهن إما على يد أقاربهن من الرجال وإما على نساء مثلهن. فيروى البلاذرى عن الوليد عن الواقدى أن عائشة بنت سعد قالت: «علمنى أبى الكتاب»(١)، أما أم المؤمنين حفصة فقد تعلمت الكتابة على يد الشفاء العدوية – نسبة إلى عدى رهط عمر بن الخطاب – وقد كانت كاتبة فى الجاهلية، ولما تزوج الرسول ﷺ من حفصة طلب إلى الشفاء أن تواصل تعليمها حيث قال ﷺ: «**ألا تعلمين هذه – يقصد حفصة – رقية النملة كما علمتيها(*) الكتابة**»(٢). وقال الشيخ ابن تيمية فى المنتقى تحت حديث شفاء: «وهو دليل على جواز تعلم النساء الكتابة» كذلك قال الخطابى «فيه دلالة على أن تعلم النساء الكتابة غير مكروه»(٣). وقال ابن القيم تحت هذا الحديث «وفى الحديث دليل على جواز تعلم النساء الكتابة»(٤).

وقد استدل بعضهم على عدم جواز الكتابة للنساء بروايات ضعيفة واهية، فمنها ما أخرجه ابن حبان فى الضعفاء عن عائشة قالت «لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة» وفى سنده محمد بن إبراهيم الشامى منكر الحديث ومن الوضاعين. وقال الذهبى: قال الدار قطنى: كذاب. وقال ابن عدى: عامة أحاديثه غير محفوظة(٥).

---

(١) أبى الحسن البلاذرى: **فتوح البلدان**، مرجع سابق، ص٤٥٨.

(*) هكذا فى نص الحديث، والياء لإشباع الكسرة.

(٢) النملة: قروح تخرج فى الجنبين. الخطابى (الإمام أحمد بن محمد) معالم السنن ٤/٢٢٦.
والحديث رواه أبو داود والنسائى كتاب الطب باب الرقى ورواه الإمام أحمد فى مسنده وقال صاحب الفتح الربانى: رجاله رجال الصحيح جـ١٧ ص١٧٩، والحديث صححه السيوطى، كنز العمال ١٠/٥٩، ١٢/١٣٨.

(٣) عون المعبود بشرح سنن أبى داود ١/٣٧٥.

(٤) ابن قيم الجوزية: **زاد المعاد فى هدى خير العباد**، دار الفكر، بيروت ط٢، ١٩٧٢، ٣/١٢٤، (وسيشار إليه بزاد المعاد).

(٥) عون المعبود ١٠/٣٧٦ – ٣٧٧.

ومن الأحاديث ما أخرجه الحاكم فى المستدرك عن عائشة أن الرسول ﷺ قال: «**لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة - يعنى النساء - وعلموهن المغزل وسورة النور**». وقال الحاكم عن الحديث أنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه.(١) وبالرجوع إلى المستدرك نجد الحافظ الذهبى يتعقب الحاكم ويقول عن الحديث إنه موضوع، ففى إسناده أحد الكذابين(٢).

وأضاف ابن الجوزى على الروايتين السابقتين رواية أخرى عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: «**لا تعلموا نساءكم الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف العلالى**»، وبيّن ابن الجوزى أن هذه الروايات من الأحاديث الموضوعة، ثم تعجب كيف خفى على الحاكم أمر هذا الحديث(٣).

ويمكن الاستدلال من القرآن الكريم على جواز تعلم المرأة للكتابة فيقول تعالى: ﴿**وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ويقول تعالى: ﴿**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فنجد أن الله تعالى قد نص فى الثانية على الرجال وأطلق فى الأولى، ويدل هذا على جواز أن يكون الكاتب رجلاً أو امرأة.

٣ - حق المرأة المسلمة فى تعلم كافة فروع العلم النافع وضوابط ذلك فى القرآن والسنة:

لم تتوقف الحقوق التعليمية للمرأة فى الإسلام على حد القراءة والكتابة حيث ينص المبدأ العام «أن الأصل فى الأشياء الإباحة فيما لم يرد فيه نص»(٤). واستدل

---

(١) أى لم يخرجه البخارى ومسلم.

(٢) الحاكم (الحافظ محمد بن عبد الله): **المستدرك على الصحيحين**، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (د. ت) ٢/٣٩٦ (وسيشار إليه بمستدرك الحاكم).

(٣) ابن الجوزى (الإمام عبد الرحمن بن على): **الموضوعات**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٩٦٦، ٢/٢٦٨.

(٤) جمال الدين عطية: **حقوق الإنسان فى الإسلام (النظرية العامة)**، حولية كلية الشريعة جامعة قطر، ع٥، ١٩٨٧، ص١٢٨ نقلاً عن محمد سلام مدكور، نظرية الإباحة عند الأصوليين والفقهاء، حيث ناقش آراء الفقهاء فى ذلك.

الفقهاء على ذلك من القرآن والسنة. فعن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقززًا، فبعث الله نبيه ﷺ، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرّم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت فهو عفو»(١). وتلا قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. إلى آخر الآية.

وجاء فى شرح الحديث: «والحديث يدل على أن الأشياء أصلها على الإباحة».

وبناءً على هذا المبدأ يمكن استنتاج أن **للمرأة المسلمة تعلم كافة فروع العلم ما لم يرد نص يحرم فروعًا معينة من العلم فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، أو ما لا يتعارض مع مقصد من مقاصد التشريع.**

وإذا راجعنا آيات الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ لم نجد نصًا يمنع تعليم الأنثى أو يخص بالعلم الذكر دون الأنثى، بل نجد آيات الله تعالى التى تدعو إلى العلم والتعلم تشمل الجنسين معًا كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الحج: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

وفى تحريم القرآن الكريم للعلم الضار الذى لا ينفع عندما عاب الله تعالى على بنى إسرائيل علمهم قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فنجد أن هذا التحريم لم يختص به الذكر دون الأنثى، بل حرم على الاثنين تعلم ما يضر.

---

(١) رواه ابو داود كتاب الأطعمة باب ما لم يذكر تحريم - والحديث سكت عنه أبو داود وبين الشارح سكوت المنذرى، وهو موقوف، عون المعبود ١٠/٢٧٣، ٢٧٤. حديث ٣٧٨٢، وعبارة سكت عنه أبو داود والمنذرى تدل على أنهما لا يريان فيه ضعفا، فهو لا يقل عن درجة الحسن.

والسنة الشريفة – وهى المبينة للقرآن الكريم – وضحت ضوابط العلم فقد حدّد الرسول ﷺ أنواع العلم الذى يتعلمه المسلمون والمسلمات حيث قال ﷺ: «**العلم ثلاثة، فما وراء ذلك فضل آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة**»(١).

وفسر الإمام الخطابى (٢) معنى الحديث بأن المقصود من الفضل: الزائد عن الحاجة، والآية المحكمة: القرآن الكريم، والسنة القائمة: ما جاء عنه ﷺ من السنن المروية. أما الفريضة العادلة: فهى إشارة إلى الإجماع والقياس. وللإسلام مقاصد ثلاثة من أى تشريع، أوله أن تكون ضرورية، وثانيه أن تكون حاجية، وثالثه أن تكون تحسينية(٣).

أما الضرورات فتشمل على الترتيب حفظ خمسة أشياء: الدين والنفس، والعقل، والعرض، والمال. وحفظ كل منهما ضرورى للناس. وتشمل الحاجيات كل ما تحتاج إليه الناس لليسر والسعة، وإذا فقد لا يختل نظام الحياة. أما التحسينات فهو ما تقتضيه الأمور حتى تسير على أقوم منهاج وإذا فقد لا يختل نظام حياة الناس، كما لو فقد الأمر الضرورى أو الأمر التحسينى(٤).

ويلاحظ أنه «لا يراعى تحسينى إذا كان فى مراعاته إخلال بحاجى، ولا يراعى حاجى ولا تحسينى إذا كان فى مراعاة أحدهما إخلال بضرورى.(٥). فلا يعتد بأمر ضرورى إلى الحد الذى يبطل ضروريًا آخر ما لم يكن الأول أهم من الثانى. ولهذا وجب الجهاد مع ما فيه من إتلاف لبعض النفوس، لأن فيه محافظة على الضروريات الأخرى، وأبيح شرب الخمر عند الإكراه عليه بإتلاف نفس أو عضو، وعند العطش الشديد لأن حفظ النفس مقدم على حفظ العقل وأبيح إتلاف مال الغير إذا أكره عليه كذلك لأن حفظ النفس مقدم على حفظ المال.. وهكذا(٦).

---

(١) رواه أبو داود كتاب الفرائض باب ما جاء فى تعليم الفرائض، ورواه ابن ماجة فى المقدمة ص٢١، ورواه الحاكم فى المستدرك كتاب الفرائض ٤ / ٣٣٢.

(٢) عون المعبود لشرح سنن ابى داود، ٨ / ٩٢.

(٣) أبو إسحاق الشاطبى: **الموافقات فى أصول الشريعة**، دار المعرفة، بيروت (د. ت) ٢ / ٨.

(٤) عبد الوهاب خلاف: **علم أصول الفقه**، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨، ص٢٠٠.

(٥) المرجع السابق ص١٩٧.

(٦) على حسب الله: **أصول التشريع الإسلامى**، القاهرة، دار المعارف، ط١ ١٩٦، ص ٣٣٧.

وبتطبيق هذا يمكن استنتاج **أن العلم ثلاثة: علم ضرورى، وعلم حاجى، وعلم تحسينى.**

ولا يراعى العلم الحاجى إذا أخل بالعلم التحسينى، كذلك لا يراعى العلم التحسينى إذا أخل بالعلم الضرورى أو الحاجى.

بالمثل لا تراعى العلوم التى تحفظ النفس إذا أخلت بالدين ولا تراعى العلوم التى تحفظ العقل أو العرض أو المال إذا كانت تتعارض مع الدين أو حفظ النفس وذلك تبعًا للقاعدة الشرعية «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»(١)، ولذلك يمكن القول بأن العلم الضرورى هو العلم الذى نحتاج إليه للضروريات، والعلم الحاجى هو العلم الذى نحتاج إليه للحاجيات، والعلم التحسينى هو العلم الذى نحتاج إليه للتحسينات.

٤- العلوم التى تتعلمها المرأة. فرض العين وفرض الكفاية:

إذا كان الدين هو أول الضروريات المفروض على المرأة تعلمها فمن هنا تحتل العلوم الدينية المرتبة الأولى حيث احتلت تلك العلوم مساحة كبيرة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وتنقسم العلوم الدينية إلى علوم متصلة بالعقيدة، وعلوم متصلة بالشريعة، أما العقيدة فهى «الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شىء والمرأة مكلفة بالعقيدة ومسئوليتها كمسئولية الرجل سواء بسواء»(٢). فيقول الله – سبحانه وتعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٩٧]. أما الشريعة فهى «النظم التى شرعّها الله تعالى أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه (من أداء الواجبات الدينية كالصلاة والصيام) وعلاقته بأخيه المسلم (من محبة وتناصر وأحكام خاصة بتكوين الأسرة و الميراث)، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون وبالحياة»(٣).

---

(١) الغزالي (أبو حامد محمد): **المستصفى فى علم الأصول**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٩٨٣، ١/ ٧١.

(٢) محمود شلتوت: **الإسلام عقيدة وشريعة**، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٢، ١٩٨٥، ص١٢.

(٣) المرجع السابق ص١٠.

والمرأة هنا مكلفة بالعلوم الخاصة بالعبادات من كيفية أداء الصلاة والصيام، وكيفية إخراج الزكاة إن كانت تملك ما تزكي عنه، وكيفية الحج إن استطاعت إليه سبيلاً، وكذلك المعاملات فعلى المرأة أن تتعلم ما يخصها منه، فإن كانت مثلاً صاحبة مال وتريد استثماره عليها أن تتعلم الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية أو الأعمال التجارية لتعرف الحلال والحرام فيه، وما يجوز وما لا يجوز.

وكانت المرأة بالفعل تلجأ إلى الرسول ﷺ لتتعلم منه ما يخصها، فعن قيلة أم بنى أنمار قالت: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: إنى امرأة أبيع وأشترى فإذا أردت أن أبتاع الشيء سمت به أقل مما أريد، ثم زدت حتى أبلغ الذى أريد، وإذا أردت أن أبيع الشيء سمت به أكثر مما أريد، ثم وضعت حتى أبلغ الذى أريد. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تفعلى يا قيلة. إذا أردت أن تبتاعى شيئًا فاستامى به الذى تريدين أعطيت أو منعت»**(١).

ولكن هذا لا يعنى أنه على المرأة طلب العلوم الدينية فحسب لأن تلك العلوم ليست الوحيدة التى تدخل فى نطاق العلوم الضرورية. فالعلوم التى تحتاج إليها لحفظ النفس - كضرورة أخرى من الضرورات الخمس - تدخل أيضا فى نطاق العلوم الضرورية وذلك كالطب للمحافظة على الأبدان، كذلك فى قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ [الأنفال: ٦٠]. يمكن استنتاج أن تعلم أحدث الوسائل المتقدمة فى المجال الحربى من أساليب الحرب وأدوات القتال وفنونه للدفاع عن النفس تعتبر من العلوم الضرورية لأنها تساعد فى المحافظة على النفس، بل إن المحافظة على النفس والمال من وسائل المحافظة على الدين والدفاع عنه، من هنا سمح الإسلام للمرأة مشاركة الرجال فى ميدان القتال، بل وأوجب عليها الخروج للدفاع عن الوطن بغير إذن زوجها إذا هجم العدو واعتدى على حرمة البلاد. وقد سبق تفصيل ذلك فى الفصل الأول من البحث وضربنا الأمثلة بالنساء اللواتى كن يحاربن مع الرسول ﷺ وبالتالى لابد وأنهن كن على علم بكيفية استخدام أدوات القتال المستخدمة فى ذلك الزمان.

---

(١) رواه ابن ماجة: كتاب التجارات باب السوم: وأخرجه ابن سعد والحكيم والطبرانى فى الكبير. السيوطى: الجامع الكبير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ١/٨٩٨ (وسيشار إليه بالجامع الكبير).

وفى قوله ﷺ : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» لا يقصد بالعلم هنا العلم الدينى فحسب، وإنما يشمل كل علم ضرورى لا غنى عنه وقد روى ابن عبد البر هذا الحديث من عدة طرق[١]. ثم قال: «وقد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض عين على كل امرئ فى خاصته بنفسه، و منه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع، واختلفوا فى تلخيص ذلك، والذى يلزم الجميع فرضه»[٢]، فنجد أن ابن عبد البر قد عرّف فرض العين وفرض الكفاية، ثم ذكر أن العلماء قد اختلفوا فى تحديد العلوم العينية والعلوم الكفائية، وبعد ذلك ذكر ابن عبد البر فى كتابه أن العلوم العينية هى تلك العلوم التي لا يسع الإنسان جهلها من جملة الفرائض المفترضة عليه من أركان الإسلام الخمسة وهى الشهادتان والصلوات الخمس وما يتصل بها من علم مالا تتم إلا به من الطهارة وسائر أحكامها، وصوم رمضان وعلم ما يفسد الصوم وما لا يتم إلا به، و إن كان المسلم ذا مال، لزمه فرضا أن يصرف ما تجب فيه الزكاة ومتى تجب، وفى كم تجب..، وهناك من العلوم التى يلزم معرفة مجملها ولا يعذر المسلم بجهلها كمعرفة الحلال والحرام فى الإسلام، ثم قال «أما سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواهم به فى مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفاية يلزم الجميع فرضه فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين لا خلاف بين العلماء فى ذلك[٣]، وحجتهم فيه قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [التوبة: ١٢٢] وهكذا ذكر ابن عبد البر أن من العلوم ما هو فرض عين يطالب به كل فرد على حدة، ويشمل العلوم التي يجب أن يلم بها كل مسلم ومسلمة، و منها ما هو فرض كفاية والذى إذا قام به البعض سقط عن الباقين ويشمل تعلم ما تقوم به مصلحة المسلمين ولا غنى لهم عنه.

---

(١) حيث روى «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب»، و«طلب العلم فريضة على كل مسلم، وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر» و«طلب العلم فريضة على كل مسلم، والله يحب إغاثة اللهفان» ولكن كل هذه الزيادات ضعيفة كما جاء فى التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١١٥.

(٢) ابن عبد البر النمرى القرطبى: جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ١/ ١٠.

(٣) المرجع السابق ١/ ١٠ – ١٢.

وكذلك علق الإمام ابن حزم على الآية السابقة فقال بعد أن أبان الحد الأدنى الواجب من التعليم لتصح من الناس عباداتهم ومعاملاتهم: «يبين الله فى هذه الآية وجه التفقه كله، وأنه ينقسم قسمين: أحدهما يخص المرء فى نفسه وذلك مبين فى قوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ - فهذا معناه تعليم أهل العلم لمن جهل حكم ما يلزمه. والثانى: تفقه من أراد وجه الله تعالى بأن يكون منذراً لقومه وطبقته. قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ففرض على كل أحد طلب ما يلزمه على حسب ما يقدر عليه من الاجتهاد لنفسه فى تعرف ما ألزمه الله تعالى إياه»[1].

وتحدث الإمام الغزالى عن علوم فرض العين وعلوم فرض الكفاية فأكد ما ذكره ابن عبد البر ثم تحدث بتفصيل أكبر عن العلوم الكفائية فقسم العلوم إلى علوم محمودة وأخرى مذمومة وقال: «والمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، و إلى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان على الصحة، أو الحساب فهو ضرورى فى المعاملات وقسّم التركات والوصايا والمواريث وغيرها، وهذه العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها، حرج أهل البلد، وإذا قام به واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا تتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفاية، فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفاية كالملاحة والحياكة والسياسة والحجامة والخياطة. فإنه لو خلا البلد عن الحجام لسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأما ما يعد فضلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكن يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه، وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات..»[2] ونجد أن الإمام الغزالى عندما تحدث عن التعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب أكد ذلك وفضله ربما لأن ذلك كان فى أيامه،

---

(١) ابن حزم: **الإحكام فى أصول الأحكام**: مرجع سابق، المجلد الثانى، ٥/٨٩٩.

(٢) الغزالى (أبو حامد محمد): **إحياء علوم الدين**، مرجع سابق ١/٢٣٢.

فمسألة التعمق والتزيد هذه يحددها أهل كل عصر، فى كل صناعة بحسب الأحوال والظروف[١].

وقد عاب الغزالى على علماء عصره إهمالهم لبعض فروض الكفايات التي لا يستغنى المجتمع المسلم عنها مثل علم الطب وفى ذلك يقول: «فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهاداتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه، ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات، والبلد مشحون من الفقهاء، فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به»[٢]. فالإمام الغزالى يعيب على مجتمعه عدم وجود طبيب مسلم لمعالجة المسلمين، وفى هذه الحالة أصبح فرض كفاية على الرجال المسلمين أن يقوم فريق منهم بتعلم الطب، و ينطبق هذا على المسلمات أيضًا، حيث أصبح فرض كفاية عليهن أن يهيئن منهن فريقًا يتعلم الطب لمعالجة المسلمات وبفرض تمكن المسلمات من إعداد الطبيبات اللازمات، وذلك قبل أن يتمكن الرجال المسلمون من إعداد فريق منهم لتعلم الطب، عندئذ يمكن لهؤلاء الطبيبات أن يقمن بمعالجة المسلمين، ولكن على قدر الحاجة، بمعنى ألا يطلعن من العورة إلا بالقدر الذى يمكنهن من معرفة الداء، كذلك عليهن أن يقمن بمعالجة الرجال حتى ظهور طبيب مسلم كفء فى ا لمجتمع والعكس صحيح أيضًا، فإذا وجد عجز فى الطبيبات المسلمات، يمكن للأطباء المسلمين أن يقوموا بمعالجة المسلمات ولكن على قدر الحاجة، وذلك تبعًا للقاعدة الشرعية «**ما أبيح للضرورة أو للحاجة يقدّر بقدرها**»، وهذا يعنى أن الإباحة بسبب الضرورة أو الحاجة، لا يصح أن تتعدى الضرر الذى يدفع تلك الضرورة أو الحاجة، فلا يصح للمضطر أن يأكل من الميتة إلا بقدر ما يدفع عنه الضرر ولا ينظر الطبيب من العورة إلا بالقدر الذى يمكنه من معرفة الداء.. وهكذا[٣].

---

(١) عبد العظيم الديب: **الغزالى وأصول الفقه**. سلسلة بحوث ومقالات بأقلام نخبة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة قطر، جامعة قطر ١٩٨٦.

(٢) الغزالى (أبو حامد محمد): **إحياء علوم الدين**، مرجع سابق ١/ ٢١.

(٣) على حسب الله: **أصول التشريع الإسلامى**، مرجع سابق، ص٣٤٧.

والخلاصة.. أنه يمكن استنتاج أن ما تتعلمه المرأة المسلمة ينقسم إلى:

١- **علوم فرض عين**: وهى العلوم التي يجب أن تلم بها كل مسلمة على حدة، ويدخل فى نطاقها أكثر العلوم الدينية والتى بها يصح عقيدتها وعبادتها وسلوكها، وكذلك العلوم التى تحتاجها لأداء وظيفتها فى الحياة كأن تتعلم العلوم الخاصة بإدارة المنزل كافة وتربية الأولاد وغيرها، كل ذلك حسب الأصول المرعية فى عصرها، فما اقتضاه الشرع وما استدعته حياة الأسرة هو فرض عين على كل مسلمة أن تتعلمه.

٢- **علوم فرض كفاية**: وهى العلوم التى تحتاج الأمة الإسلامية من المرأة أن تتعلمها، والتى إذا قام بتعلمها فريق من النساء سقط الفرض عن الباقيات. فإذا فرض أن الضرورة استدعت وجود طبيبات أو معلمات أو فنيات أو غيرها من العلوم التى يحتاجها المجتمع المسلم من نسائه، صار على النساء المسلمات فرض كفاية أن يهيئن منهن على قدر الحاجة من تتعلم هذه العلوم، وإلا فالكل آثم شرعًا.

أما باقى العلوم التى تدرس لذاتها، والتى لا تدخل فى نطاق فروض العين أو الكفاية، فهى العلوم التى أطلق عليها الرسول ﷺ «الفضل» أى الزائد عن الحاجة، وهى العلوم التى لم يحرم الإسلام تعلمها ولكنه وضعها فى مرتبة تالية بعد تعلم العلوم العينية ثم الكفائية.

وهكذا عندما ترى د. بنت الشاطئ «أن تعليم المرأة فى الإسلام لا يأخذ حكم الجواز أو الإباحة، وإنما هو تكليف واجب ملزم، وما يجوز على الإيمان يجوز على العلم واستدلت على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ثم قالت: «وكما أنه لا يجوز القول بأنه من المباح والجائز للمرأة المسلمة أن تكون متعلمة»[١]، فإنه بناء على ما سبق يمكن القول بأن العلوم التي تأخذ هذا الحكم، وهو التكليف الواجب الملزم هى العلوم العينية والكفائية، أما علوم الفضل فليس من اللازم الضرورى أن تتعلمه المرأة المسلمة إذ لا يشمله هذا الحكم.

---

(١) عائشة عبد الرحمن: ندوة مكانة المرأة فى الأسرة الإسلامية، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية، جامعة الأزهر، القاهرة ص٢٩٥.